حديث القرآن الكريم عن حفظ القرآن
(دراسة موضوعية)

يحيى بن عبدربه بن حسن الزهراني*

تاريخ تسلُّم البحث : 2021/2/10م تاريخ قبول النشر : 2021/1/11م

الملخص

تحدَّثت هذه الدراسة عن معنى حفظ الله للقرآن الكريم من خلال القرآن الكريم، وبيان مظاهر، ووسائل، ومراحل ذلك الحفظ ؛ نظرًا لتشابه وتكرار شُبه الطَّاعنين في القرآن الكريم قديمًا وحديثًا؛ وذلك بجمع الآيات التي تحدثت عن ذلك؛ من خلال الاستقراء والنظر والتَّدبر، واستخراج تلك المظاهر والوسائل والمراحل، والوصول إلى تأكيد حفظ الله للقرآن الكريم من عبث العابثين والمحرفين والمشَّككين، وبيان أن ذلك الحفظ خصيصة من خصائصه دون سائر الكتب السَّماوية، وأن إعمال العقل مع النقل يدلاَّن على ذلك، مع بيان شمولية وكمال ذلك الحفظ.

كلمات مفتاحية: الحفظ، الشبهة، النزول، التبديل.

المقدَّمة:

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾ [الكهف:1-4]، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسَّلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فإن مقصود إنزال القرآن بيان الحقّ، «ولما كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، فقال: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ** ۗ في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به،﴿ **أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[العنكبوت:51]، وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرًا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رءوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين، والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته لم ينه عنه، بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول، ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به »[1].

ويضاف إلى ما سبق حفظ الله للقرآن الكريم، وهي من

* أستاذ مشارك بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية . جامعة جدة.

أهم خصائصه، وهذه الخصيصة من الأهمية بمكان لتحقيق جميع ما ورد من بيان الحق الذي من أجله نزل.

ومع هذا الوضوح الذي يجلل كتاب ربنا فإنه لم يسلم من طعن الطَّاعنين، وانتقاص المنتقصين على مرِّ العصور والأزمان، من أهل الزيغ والفساد، وأهل الابتداع والانحراف، وتُبَّاع الشهوات والنزوات، كلٌّ بحسبه؛ فمنهم من يزعم أن القرآن الكريم دخله التحريف والزيادة والنقص، ومنهم من يرى أنَّ النَّص القرآني ليس له قداسة؛ بل هو وثيقة تاريخية ينبغي أن تكون تحت الدِّراسة والنَّقد، ومنهم من يدعو إلى قراءة النَّص القرآني قراءة حديثة بعيدًا عن علم السَّلف.

وعلى ما سبق يتبيّن لنا أهمية الكتابة في (حديث القرآن عن حفظ القرآن)؛ لبيان بطلان وتهافت مزاعم أولئك القوم، منطلقين من القرآن نفسه، فالانطلاق من القرآن إلى الوجود هو الأصل، وهو الذي يغلب عليه العصمة من الزلل، بخلاف الانطلاق من الوجود إلى القرآن، فإنه يوقع في الخلل الكبير، والخطأ الكثير[2].

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما وقفت عليه دراسة مستقلة في هذا الموضوع؛ إلا ما كان من إشارات مختصرات في ضمن الدراسات التي تحدثت عن خصائص القرآن القرآن الكريم، أو جمعه، أو إعجازه، أو في الرد على بعض الشبهات المثارة حوله، مثل:

- جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، أ. د. علي بن سليمان العبيد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع (دار وقفية دعوية)، ط1، 1436 هـ - 2015م.
- خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، مكتبة العبيكان، 1417هـ-1997.

وعليه فقد عقدت العزم – مستعينًا بالله – على الكتابة في هذا الموضوع، سائلًا الله التوفيق للصواب.

هذا وقد انتظمت خطة هذا البحث **في مقدَّمة، وتمهيد، وفصلين، في كل فصل عدَّة مباحث، على النحو التالي:**

المقدمة: وفيها الخطة، ومنهج البحث.

<u>التمهيد، وفيه مطلبان:</u>

<u>المطلب الأول</u>: معنى: حديث القرآن عن حفظ القرآن، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: معنى الحديث في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: معنى القرآن في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثالث: الحفظ في اللغة والاصطلاح.

<u>المطلب الثاني:</u> أسباب الحديث عن حفظ القرآن، وماذا يشمل.

<u>الفصل الأول: حديث القرآن عن حفظ القرآن في السَّماء، وفيه تمهيد ومبحثان:</u>

<u>المبحث الأول:</u> حفظ القرآن الكريم في السَّماء.

<u>المبحث الثاني:</u> حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تكليف جبريل –عليه السَّلام–بمهمة النزول بالقرآن الكريم:

المطلب الثاني: إرسال الشهب على مسترقي السمع من الجن حفاظًا على لقرآن.

<u>الفصل الثاني:</u> حفظ القرآن الكريم على الأرض، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تكفل الله بحفظه.

المبحث الثاني: مظاهر حرص النبي–صلى الله عليه وسلَّم– على حفظ القرآن الكريم.

المبحث الثالث: امتداح الله الحافظين لكتابه من أهل العلم.

المبحث الرابع: الحث عل تدبر القرآن، والإنكار على من لم يفعل ذلك.

المبحث الخامس: صون القرآن من الدخل والخلل والباطل والفساد.

المبحث السادس: نفي التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان عن القرآن.

المبحث السابع: دلالة معاني أسماء القرآن وأوصافه على حفظه.

المبحث الثامن: دلالة القرآن العقلية على حفظ القرآن.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

منهج البحث:

قسمت البحث على مباحث ومطالب بعد جمع المادة العلمية، واتبعت فيه ما يُتبَّع عادة في البحوث من:

1- عزو الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم.

2- تخريج الأحاديث من مظانها الأصلية، والحكم عليها؛ إلاّ إذا كان في الصحيحين فأكتفي بهما.

3- ترجمة موجزة لبعض الأعلام، مستثنيًا من ذلك الصحابة، والأئمة الأربعة لشهرتهم ويسر الوصول إلى تراجمهم، وكذلك الأعلام المقرونة باسم الكتب.

4- توثيق النصوص الواردة في البحث.

5- شرح ما يرد من مفردات غريبة.

6- تذييل البحث بفهارس علمية.

أسأل الله أن ينفعني وينفع به، وأن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بـ (حديث القرآن عن حفظ القرآن)، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التعريف بـ (الحديث):

- في اللغة:

الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحدث: الطري السن. والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء، وصارَ فلان أُحدوثة أي كَثَّروا فيه الأحاديث، ورَجُلٌ حَدَثٌ وحَدِثٌ كَثيرُ الأحاديثِ، والأُحدوثة: الحديث نفسه، والحديثُ: الخبر يتحدث به وينقل؛ ويأتي للقليل والكثير، وَالْجمع أحاديثُ كقطيع وأقاطيع[3].

- في الاصطلاح:

«الحَدِيثُ: كلُّ كلامٍ يبلغ الإنسان من جهة السَّمع أو الوحي؛ في يقظة أو منام = يقال له حديث، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**﴾ [التحريم: 3]، ﴿**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف:101]، أي: ما يحدث به الإنسان من نومه»[4].

الفرع الثاني: التعريف بـ (القرآن):

- **في اللغة:** اختلف العلماء في تعريفه على قولين:

الأول: أنه مشتق:

- إما من الفعل: (قرأ)؛ بمعنى: تلا، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[القيامة: 17-18].

- أو الفعل: (قَرَن)؛ بمعنى: ضم، يُقال: قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر.

الثاني: أنه غير مشتق؛ بل هو اسم لكتاب الله عز وجل[5].

ولعل القول بالاشتقاق هو الراجح؛ كما رجَّحه علماء اللغة[6].

- في الاصطلاح:

هو كلام الله المعجز، المنزل على محمد، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المفتتح بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس[7].

الفرع الثالث : التعريف بـ (الحفظ):

- **في اللغة:** الحاء والفاء والظاء أصل واحد يدل

على مراعاة الشيء، والحفظ: نقيض النِّسيان، وهو التَّعاهدُ وقلّة الغَفْلة. وحفظ الشَّيْءَ حِفْظًا مَنَعَهُ مِنْ الضَّيَاعِ. والحَفيظ: المُوَكَّل بالشيء يحفَظُه. والحَفيظُ: من صِفَات الله جلّ وعزّ، لَا يَعْزُبُ عَن حِفظِه الأشياءَ كُلَّها مثقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الأَرْض[8].

وَقُرِئَ﴿**فِـي لَـوْحٍ مَحْفُـوظٍ**﴾ بـالرفع[9]، صـفةً للقـرآن، وبجـرِّه صـفة للَّـوح[10]، قـال أبـو علـي الفارسـي (ت377هـ): «حجّـة نـافع فـي قولـه: ﴿**مَحْفُـوظٍ**﴾ أنّ القرآن وصف بالحفظ في قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9]، وكما وصف بالحفظ في هذه، كذلك وصف في الأخرى في قوله: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج:21-22]، فمعنـى حفـظ القـرآن: أنـه يـؤمن مـن تحريفـه وتبديلـه وتغييره، فلا يلحقه من ذلك شيء. ومن جرّ محفوظا جعله صفة للوح، فلأنهم يقولون: اللوح المحفوظ»[11]، «فـلا جـرم حصـل مـن القراءتين ثبـوت الحفـظ للقـرآن وللوح»[12].

في الاصطلاح: المعنى الاصطلاحي (للحفظ) لا يبتعد عن معناه في اللغة، ويُمكن أن يُقال: أنَّ الحفظ في الاصطلاح يُرادُ به معنيان:

الأول: المراعاة، والتعهد، والصيانة، والحراسة.

الثاني: الاستظهار.

وكلا المعنيان مقصودان هنا؛ لأن «أصل الحفظ: المنع للشيءِ بتفقُّده ورعايته، ومنه حفظ الدرس، وهو منع ما تدرسه أن يشذ عنك. والحفظ تارةً لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدِّي إليه التفهُّم وأخرى لضبط الشيء في النفس، ويضادُّه النسيان، وأخرَى لاستعمال تلك القوة، فيقالُ: حفظت كذا حفظًا. ثم يستعمل في كل تفقدٍ وتعهدٍ ورعايةٍ»[13].

وعليه فيمكن أن يُقال في تعريف **حديث القرآن عن حفظ القرآن:**

الأخبار المعجزة، الموحاة من الله -تبارك تعالى- إلى النبي -صلى الله عليه وسلَّم-، المنقولة إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوتها = التي بيَّنت عناية الله بكتابه من حيث الحفظ.

المطلب الثاني: أسباب الحديث عن حفظ القرآن، وماذا يشمل.

يرد هنا سؤال مفاده: ما أسباب الحديث عن حفظ القرآن الكريم، وماذا يشمل ذلك الحفظ؟

وقبل أن نجيب على التساؤل يحسن بنا أن نقرر أن كتاب ربنا محفوظ بحفظ الله.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:41-42]. ففي قوله ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ**﴾، وجهان:

الأول: أن ما تقدَّم من الكتب وما تأخر لا يبطله.

الثاني: أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه[14].

قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه - عزَّ وجلَّ-: «وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء؛ تقرؤه نائمًا ويقظان»[15].

أي: لا ينمحي أبدًا، بل هو محفوظ في صدور الذين أوتوا العلم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تجمعه حفظًا وأنت نائم، كما تجمعه وأنت يقظان، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان[16].

قال أبو العباس القرطبي (656هـ): «فلو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود،»[17].

إن من مظاهر تصديق هذا الحديث، وقبله قوله -تعالى- ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجرات: 9] = كيفية تَلَقِّيه، فلقد كان «الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة مِنْ الله

تعالى لهذه الأمة... فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرءوه في كل حال، كما جاء في صفة أمته: «أناجيلهم في صدورهم»[18] ...

ولَمَّا خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله=أقام له أئمة ثقات، تجردوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي ﷺ حرفًا حرفًا، لم يهملوا منه حركة ولا سكونًا، ولا إثباتًا ولا حذفًا، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم، وكان منهم من حفظه كلَّه، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك في زمن النبي ﷺ»[19].

واستمرت هذه المظاهر لحفظ كتاب الله تعالى، وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كيف لا! وقد أثبت الله في كتابه هذه الحقيقة على وجه الإجمال والتفصيل.

ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجرات:9] ما يدلنا على أصل ينصُّ على حفظ الله للقرآن الكريم، وهو نصٌّ مجمل أتت آيات أخريات بيَّنته وفصَّلته كما سيأتي –بإذن الله–.

وبعد فنقول في الإجابة عن التساؤل السابق:

أولًا: لقد أدرك أعداء الإسلام أن للقرآن الكريم في نفوس المسلمين شأنًا عظيمًا، وأنه متى ما رجعوا إليه، وتمسَّكوا به نهض بهم في جميع الميادين، وهذا الإدراك كما كان من الأعداء في القدم فهو فيهم الآن، يقول حاخام إسرائيل الأكبر مردخاي الياهو: «هذا الكتاب الذي يسَّمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السَّلام في وقت يقدِّس العرب المسلمون فيه كتابًا يتحدَّث عنَّا بكل هذه السلبية؟!».

ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية».

ويقول المنَّصر جون تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن –وهو أمضى سلاح–ضد الإسلام نفسه، بأن نعلِّم هؤلاء النَّاس [يعنى: المسلمين] أن الصَّحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا»[20].

إنَّ نتيجة القول بنقص القرآن الكريم، والقول بعدم قدسيته، وإثارة الشبه المختلفة حوله= يؤدي إلى نتيجة مفادها تعطيل الدين وتخريبه، والتشكيك في كلِّ الأصول التي بُني عليها دين الإسلام، فالقرآن الكريم هو أصل الأصول كلِّها.

والثابت قطعًا لا ينقض بشبهة، بل لا ينقض أصلًا، بل كل ما عارض الثابت أصلًا فهو شبهة باطلة قطعًا.

ولهذا وغيره أجمع المسلمون على حفظ القرآن، وبطلان القول بتحريفه، وتكفير من يقول بهذا القول؛ ذلك أن أخطر سهم رُمي به الإسلام، ذلك السهم الذي وجهه أعداءُه إلى القرآن، فادّعوا تعرضه للتحريف من قبل الجيل الذي ائتمنهم الله عليه. بعد أن طعنوا في ذلك الجيل المؤتمن واتهموهم بشتى التهم حتى يسهل عليهم –من بعد–توجيه سهامهم إلى القرآن ثم السنة.

لقد أجلب الطاعنون بخيلهم ورجلهم على القرآن الكريم، وأصول وقواعد تفسيره، يبغون من خلال ذلك إخراج ألفاظه عن معانيه بتغييرهم لدلالات ألفاظه، فزعم بعضهم أنه ناقص، وزعم بعضهم أنهم يفسرون كتاب الله وفق المناهج العلمية، وأنهم يجددون هذا العلم، وأنهم حريصون عليه وهم أبعد الناس عن ذلك.

وحينما نتحدث عن أولئك الطاعنين فإن الكلام لا يقتصر على الأوائل منهم بل ينسحب حتى على المتأخرين؛ وتحديدًا ممن يدعي الإسلام، فالشبهات هي هي، «أمَّا الجديد في هذه الشبهات فإنما أورده القوم بقدر ما استجد عندهم من الجهل؛ سبقوا في ظلماته أسلافهم»[21]، وأضافوا إلى تلك الظلمات

ظلمة التبعية للمستشرقين، فأصبحوا يلوكون ما تلوكه ألسنتهم في نقد القرآن الكريم، ومن صور ذلك:

- الزعم بأن القرآن الكريم نص غير منَّظم في عرضه، وغير مترابط، وكثير الإيحاءات؛ كل ذلك بموجب المناهج المتبعة في البحوث الأكاديمية.

- اعتماد ترجمات القرآن في الاستشهاد، دون الرجوع لنصِّ القرآن الأصلي؛ مما أوقعهم في أخطأ فادحة بسبب الترجمة الخاطئة.

- الدعوة إلى أن يكون النصَّ القرآني مرتعًا للخائضين بلا حسيب ولا رقيب، بعيدًا عن الشروط العلمية الموضوعة من أهل الفن.

- الدعوى بأن القرآن الكريم هو خطاب شفهي جرى نقله بعد فترة تطول أو تقصر إلى كتاب خُلعت عليه أسدال التقديس من الذين أسهموا في عملية النقل.

- العدول عن أسماء القرآن الكريم التي أتى بها النَّص (القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، التنزيل) إلى مجموعة من الأسماء تحمل مجموعة من المعاني تتعدد بتعددها، نحو: خطاب نبوي، المدونة الرسمية المغلقة، الظاهرة القرآنية، الحدث القرآني[22].

إلى غير ذلك من الشبهات، التي «أجاب عن معظمها الإمام الباقلاني (ت403هـ)، بل أجاب عن بعضها النبي –صلى الله عليه وسلَّم –بنفسه»[23]، ثمَّ اجتهد أهل العلم–بفضل الله–قديمًا وحديثًا في التصدِّي لهذه الأباطيل، والردِّ عليها وتفنيدها[24]، وأزعم أن إظهار حديث القرآن عن حفظ القرآن يُسهم في ذلك – بإذن الله–.

ثانيًا: الحديث عن حفظ القرآن يشمل الحديث عن حفظ سنة النبي –صلى الله عليه وسلَّم –؛ فقد تكفل الله بحفظها كما حفظ القرآن؛ لأن كلاً منهما وحي، قال الله تعالى فيه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:9]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:3–4]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ**﴾[الأنبياء:45]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[النحل:44] [25].

قال الإمام ابن حزم – رحمه الله – (ت456هـ): «فمضمونٌ عند كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن ما تكفَّل الله عز وجل بحفظه: فهو غير ضائع أبدًا، لا يشك في ذلك مسلم، وكلام النبي –ﷺ– كلَّه وحيٌ، بقوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ**﴾ [النجم:1–2]. والوحي ذِكْرٌ بإجماع الأمة كلِّها، والذِّكْرُ محفوظٌ بالنَّصِ؛ فكلامه – عليه السلام– محفوظٌ بحفظ الله عزَّ وجلَّ ضَرورة، منقولٌ كلَّه إلينا لا بد من ذلك»[26].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– (ت728هـ): «ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9] فما في تفسير القرآن، أو نقل الحديث، أو تفسيره، مِن غلط: فإن الله يقيم له من الأمة مَن يبينه ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، إذ كانوا آخر الأمم، فلا نبي بعد نبيهم، ولا كتاب بعد كتابهم»[27]، وقال : « فما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ »[28].

والذِّكْر يتناول السنة بمعناه إن لم يتناولها بلفظه، بل يتناول كلَّ ما يتوقف عليه معرفة الحق، فإن المقصود من حفظ القرآن أن تبقى الحجة قائمة، والهداية دائمة إلى يوم القيامة؛ لأن شريعة الإسلام هي الباقية والخاتمة، ولا يصل العبد إلى معرفة الله إلا بهما [29].

ولذلك «لما قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة! قال: يعيش لها الجهابذة – أي نقاد

الحديث وحذاقهم –، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9] انتهى. وكأنه أراد أنه من جملة حفظ لفظ الذكر حفظُ معناه، ومن جملة معانيه: الأحاديث النبوية الدالة على توضيح مبانيه، كما قال تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44] ففي الحقيقة تكفّل الله تعالى بحفظ الكتاب والسنة»[30].

إن التشكيك في الجهات الثلاث: الصحابة، والقرآن، والسنة = يصدر من مشكاة واحدة. ولا يمكن تجزئته، أو الفصل بين عناصره بأي حال من الأحوال. إنها أمور ثلاثة مترابطة يؤدي أولها تلقائيًا إلى آخرها: فالطعن في الصحابة يقود إلى الشك في القرآن؛ لأنهم حملته ونقلته. ويقود –من باب أولى –إلى التشكيك في السنة[31].

وخلاصة القول: أن السنة الصحيحة وحي من الله، وهي محفوظة بحفظه كما مرَّ، إلا أننا سنقتصر في هذا البحث على الكلام عن حديث القرآن عن حفظ الجزء الأول من الوحي، وهو القرآن الكريم، إلا ما يعرض لنا من ضرورة الحديث عن حفظ السُّنة في ضمن حديث القرآن عن حفظ القرآن.

الفصل الأول: حديث القرآن عن حفظ القرآن في السَّماء، وفيه تمهيد، ومبحثان:

التمهيد: « لما كان القرآن هو منبع العلوم، وأكبر المعجزات للرسول –ﷺ–، أكد الأمر فيه: فقال تعالى: ﴿**وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ**﴾ [الأنعام: 92]، ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**﴾[الإسراء: 82]، فأخبر أنه كلامه بقولة تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [الفتح: 15]، وأخبر أنه مسموع بقوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾[التوبة: 6]، وأخبر أنه محفوظ، فقال تعالى: ﴿**فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج: 22]، وقال تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ [العنكبوت 49] ، وأخبر أنه مكتوب ومتلو، فقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ [العنكبوت: 48]، إلى ما يطول شرحه من تعدد الآيات في هذه المعاني، التي توجب إثبات القرآن»[32].

إنَّ من أهم ما يميز القرآن الكريم عن بقية الكتب السَّماوية الأخرى – كما مرَّ – = حفظ الله له، ولقد تعددت إشارات القرآن الكريم إلى هذه الميزة وتنوعت، وقد مرَّ حفظ القرآن الكريم بمراحل ثلاث[33]: حفظه في السِّماء، وحفظه في طريقه إلى الأرض، وحفظه على الأرض. وهذا ما سنعرض له في المباحث التالية –بإذن الله–.

المبحث الأول: حفظ القرآن الكريم في السَّماء:

قال الله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة: 75 –80].

لقد تضمنت الآيات الكريمات الإشارة إلى عناية الله تعالى وحفظه لكتابه منذ أن كان في السَّماء، وأقسم الله على هذه الحقيقة العظيمة، حيث أودعه كتابًا مكنونًا.

قال ابن القيم (ت751هـ): «ومن المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب، حقًا أو باطلًا، بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله، لا يصل إليه شيطان، ولا ينال منه، ولا يمسه إلا الأرواح الطاهرة الزكية»[34].

والمعنى أن كتاب الله كان مستورًا من خلقه عنده، في اللوح المحفوظ. ويؤيد ذلك قول الله –تعالى–: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج:21–22].

والمفسرون أكثرهم على أن الكناية في قوله: ﴿**لَا يَمَسُّهُ**﴾ تعود إلى الكتاب المكنون، و﴿**الْمُطَهَّرُونَ**﴾ هم الملائكة[35].

فالقرآن الكريم قبل نزوله على محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم–، كان مكنونًا في الملأ الأعلى، لا يصل إليه علم البشر ولا يسعد بالنظر إليه سوى الملآئكة المقربين، والدليل على ذلك قوله –عز وجل–: ﴿**فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾ [عبس: 13 – 16][36].

المبحث الثاني: حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض، وفيه مطلبان:

لقد تعددت مظاهر حفظ الله للقرآن الكريم وهو في طريقه إلى الأرض، ومن ذلك:

المطلب الأول: تكليف جبريل –عليه السَّلام–بمهمة النزول بالقرآن الكريم:

إنّ أوّلِ مظهر من مظاهر حفظ الله لكتابه وهو في طريقه إلى الأرض أن وكلَّ به جبريل –عليه السلام– الذي اتصف بعدّة صفات خولته أن يقوم بهذه المهمة الشريفة، منها:

- أنه ملك طاهر نزيه، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: 102].

وقد ذُكر في سبب تسميته بالروح عدة وجوه، منها[37]:

- أن المراد من روح القدس الروح المقدسة، كما يقال: حاتم الجود ورجل صدق. فوصف جبريل بذلك تشريفًا له وبيانًا لعلو مرتبته عند الله تعالى.
- لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح؛ فإنه هو المتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء والمكلفون في ذلك يحيون في دينهم.
- أن الغالب عليه الروحانية، كذلك سائر الملائكة، غير أن روحانيته أتم وأكمل.
- لأنه ما ضمته أصلاب الفحول وأرحام الأمهات.
- أنه ملك قويٌّ صحيح الجسم من الآفات والعاهات، ذو هيئة حسنة، كما قال تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ**﴾ [النجم: 5–6]، وقد ورد عن بعض السَّلف في معنى: ﴿**ذُو مِرَّةٍ**﴾ : ذو قوة. وورد عن بعضهم: ذو منظر حسن. «ولا منافاة بين القولين؛ فإنه، عليه السلام ذو منظر حسن، وقوة شديدة»[38].
- أنه ملك أمين مؤتمن، مطاع في أهل السَّماء، ذو منزلة عظيمة عند الله، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾ [التكوير:19–21].

قال السعدي(ت1376هـ): «ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، وكثرة خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه.

﴿**ذِي قُوَّةٍ**﴾ على ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

﴿**عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ**﴾ أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها. ﴿**مَكِينٍ**﴾ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم.

﴿**مُطَاعٍ ثَمَّ**﴾ أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلى؛ لأنه من الملائكة المقربين، نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه.

﴿**أَمِينٍ**﴾ أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حُدَّ له.

وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى؛ فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات وأشرف الرسائل»[39].

المطلب الثاني: إرسال الشهب على مسترقي السمع من الجن حفاظًا على لقرآن.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**﴾ [الحجر:16–17].

«والمعنى: حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئًا من الوحي وغيره»[40].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ [الصافات:6-10].

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿**لَا يَسَّمَّعُونَ**﴾ بتشديد السين وتشديد الميم مفتوحتين، وقرأ الباقون وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ**﴾ بسكون السين وتخفيف الميم[41].

«وحاصل معنى القراءتين: أن الشهب تحول بين الشَّياطين وبين أن يسمعوا شيئًا من الملأ الأعلى، وقد كانوا قبل البعثة المحمدية ربما اختطفوا الخطفة فألقوها إلى الكهان، فلمَّا بعث الله محمدًا -ﷺ- قدر زيادة حراسة السماء بإرداف الكواكب بعضها ببعض حتى لا يرجع من خطف الخطفة سالِمًا، كما دلَّ عليه قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ**﴾، فالشهب كانت موجودة من قبل، وكانت لا تحول بين الشياطين وبين تلقف أخبار مقطعة من الملأ الأعلى، فلمَّا بُعث محمد -ﷺ- حُرمت الشياطين من ذلك»[42].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾ [الشعراء: 210-212]. فنزّه الله تعالى كتابه وأخبر عنه بأنه يمتنع عن الشياطين من وجوه ثلاثة:

«أحدها: أنه ما ينبغي لهم، أي: ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ**﴾.

وقوله: ﴿**وَمَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [الحشر:21].

ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر.

وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿**إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾، كما قال تعالى مخبرا عن الجن: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾»[43] [الجن:8-10].

الفصل الثاني: حفظ القرآن الكريم على الأرض، وفيه ثمانية مباحث:

<u>المبحث الأول: تكفُّل الله بحفظه:</u>

لقد ضمن الله للخلق أن يصلهم القرآن الكريم محفوظًا؛ «لأن البشر جُرِّبوا في حِفْظ مناهج السماء، ولم يكونوا أمناء عليها، فغيَّروا في التوراة وفي الإنجيل وفي الكتب المقدَّسة، إما بأن يكتموا بعض ما أنزل الله، وإما أنْ ينسُوا بعضه»[44]، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: 9].

قال ابن جرير الطبري (ت311هـ): «وإنَّا للقرآن لحافظون من أن يُزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»[45].

ولقد تعددت عبارات المفسِّرين وتنوَّعت في التعبير عن المراد بالحفظ، لكنَّ هذا التنوع والتعدد لا تضاد بينه، فقول الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ خبرٌ عامٌ يتضمن جميع أنواع الحفظ، ومن

ذلك: جعله معجزًا مبايِنًا لكلام البشر، وعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه، وصيانته وحفظه من أن يقدر أحدٌ من الخلق على معارضته، وعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف، ولو غيّر واحد حركة أو سكونا منه لنادى الصبيان بتخطيئه، وتيسير تواتره وأسباب ذلك، حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبيء –ﷺ–، واستقراره بين الأمة بمسمع من النبي –ﷺ– حتى أصبح حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر [46].

قال القاضي عياض (ت544هـ): «ذكر أبو عمر والمقرئ عن ابن المتناب القاضي، قال: كنت عند اسماعيل يومًا فُسئل: لمَ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: قال الله تعالى في أهل التوراة: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾ [المائدة:44]. فوكل الحفظ إليهم. وقال في القرآن: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:9]. فلم يجز التبديل عليهم. فذكر ذلك للمحاملي. فقال: ما سمعت كلامًا أحسن من هذا»[47].

بل عدَّ –رحمه الله– حفظ الله القرآن الكريم وجه من وجوه إعجازه المعدودة، فقال: «ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، وقال: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ الآية، وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته، على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة، لأول نزوله إلى وقتنا هذا[48]، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة. الأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير، والمعادي للشرح عتيدٌ؛ فما منهم من أتى بشيء يوثر في معارضته، ولا ألَّف كلمِتَيْنِ في مُناقضتهِ، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قَدَحَ المتكلِّفُ من ذهنه في ذلك إلاَّ بزندٍ شحيحٍ؛ بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقيبه»[49].

ومن وسائل تحقيق وعد الله –عز وجل–في حفظ كتابه أن يسَّره للحفظ، وأنزله في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وإنما تعتمد الحفظ وسيلة للمحافظة على تراثها، ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17، 22، 32، 40]، وأنزله منجمًا مفرقًا على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ ليسهل حفظه ومدارسته على النبي – ﷺ – وأصحابه[50].

وأشير ختمًا لهذا المطلب أن الحفظ المراد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. ليس مخصوصًا بزمان أو مكان؛ فـ «في إيراد الجملة الثانية اسمية، دلالة على دوام الحفظ»[51].

<u>المبحث الثاني: مظاهر حرص النبي–ﷺ – على حفظ القرآن الكريم:</u>

لقد حفظ الله عز وجل القرآن الكريم على الأرض بوساطة رسول الله –ﷺ – فـ «كان أول حفظ الله للقرآن أن مكنه في قلب النبي – ﷺ –»[52]، والذي استقبله فأحسن الاستقبال، وحفظه أتم حفظ، وقام به خير قيام، وبلغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة[53]، منها:

- قوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة:16–19].

وفيها نهيه– عليه الصلاة والسلام – بعدم الاستعجال في تعلُّم القرآن أو تعليمه لغيره، أو كتابته، والوعد بتمكينه في قلبه، وتأمينه من طوارق النسيان، وتعريفه

أن الذي يحفظ عليه ذلك هو الله[54]، وتفصيل ما أُجمل من أحكامه، ولا شك أن هذا هو مظهر جلّي من مظاهر حفظ الله لهذا الكتاب العظيم، فحفظ اللفظ وحفظ المعنى أعلى ما يكون [55].

وذكر ابن حجر(ت852هـ) عدة أسباب محتملة لاستعجال النبي– عليه الصلاة والسلام–في القراءة في أثناء النزول، منسوبة لقائليها مجملها: إما لما يجده من المشقة عند النزول، فيتعجل لتزول المشقة سريعًا، وإمَّا خشية منه –ﷺ– أن ينساه، أو يتفلت منه شيء، وإمَّا لأجل أن يتذكره، وإمَّا من حبه إياه. ثمَّ قال: «ولا بعد في تعدد السبب»[56].

ولقد أصبحت ظاهرة حفظ النبي – عليه الصلاة والسلام – للقرآن الكريم مع عدم امتلاكه مقومات الحفظ من قراءة وكتابة = آية من آيات نبوته – عليه الصلاة والسلام–، ودليل قاطع على حفظ الله لهذا الكتاب العزيز.

وقد ذكر ابن عاشور(ت1393هـ) المناسبة بين مطلع سورة الأعلى، وهو قوله تعالى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى: 1]، وبين هذه الآية، وبيَّن ترتيب نزول هذه السورة التي منها هذه الآية، وسورة القيامة التي منها: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ**﴾ [القيام:16] = بقوله: «قد عرفت أن الأمر بالتسبيح في قوله: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ بشارة إجمالية للنبيء –صلى الله عليه وسلم– بخير يحصل له، فهذا موقع البيان الصريح بوعده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرئه فيبلغه كما أوحى إليه، ويحفظه من التفلت عليه، ولهذا تكون هذه الجملة استئنافا بيانيًا؛ لأن البشارة تنشئ في نفس النبيء – ﷺ– ترقبًا لوعد بخير يأتيه، فبشَّره بأنه سيزيده من الوحي، مع ما فرع على قوله: چ **سَنُقْرِئُكَ** چ من قوله: ﴿**فَلَا تَنْسَى**﴾؛ وإذ قد كانت هذه السورة من أوائل السور نزولًا....، وسورة القيامة التي منها ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ**﴾ نزلت بعد سورة الأعلى فقد تعين أن قوله: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ وعدٌ من الله بعونه على حفظ جميع ما يوحى إليه»[57].

قال المراغي(ت1371هـ): «وخلاصة ذلك: إنا سنشرح صدرك، ونقوّى ذا كرتك، حتى تحفظه بسماعه مرة واحدة، ثم لا تنساه بعدها أبدًا»[58].

- مدارسة جبريل– عليه السّلام– القرآن للرسول– ﷺ –، فإن جبريل لم يكتف بتبليغ الرسول –صلى الله عليه وسلم –القرآن، بل كان النبي يقرأ عليه في كل عام مرة[59]، عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: «كان يَعْرِضُ على النَّبي – ﷺ– القرآنَ كُلَّ عام مرَّة، فَعَرضَ عليه مرَّتين في العام الذي قُبضَ، وكان يعتكفُ كُلَّ عامٍ عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قُبض»[60].

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: «كان رسول الله –ﷺ– أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله –ﷺ– أجود بالخير من الريح المرسلة»[61].

وعندما دنا أجل النبي –ﷺ –عارضه جبريل بالقرآن مرتين.

عن عائشة–رضي الله عنها–، عن فاطمة–رضي الله عنها–: «أسرَّ إليَّ النبي –ﷺ–: أن جبريل كان يُعارضُني بالقرآن كلَّ سنة، وإنَّه عارضني العام مرتين، ولا أُراهُ إلا حضر أجلي»[62].

- قراءة النبي –ﷺ– القرآن على غيره من الصحابة – رضي الله عنهم–.

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: قال النبي – ﷺ – لأُبيٍّ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ قال: وسماني؟ قال:

نعم. قال: فبكى». وفي لفظ قال: «الله سماني لك؟ قال: "الله سماك" فجعل أبيٌّ يبكي»[63].

• تعليم النبي – ﷺ – القرآن بنفسه؛ فقد باشر النبي –ﷺ–تعليم المسلمين القرآن بنفسه، وأمره الله – عز وجل–بأن يقرأه على الناس على مُكْثٍ، أي: تؤدَة وتمهل؛ كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه. كما قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾ [الإسراء: 106].

عن عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة ...»[64].

وعنه أنه قال: «كنا مع رسول الله –ﷺ –، وأنْزِلتْ عليه والمرسلات، وإنا لنتلقَّاها من فِيه...»[65].

وعن ابن عمر –رضي الله عنه–قال: «كان رسول الله –ﷺ – يعلمنا القرآن، فإذا مَرّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه»[66].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما –أنه قال: «كان رسول الله – ﷺ – يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن...»، وفي رواية ابن رُمْح «كما يُعَلِّمنا القرآن»[67].

• حث النبي –ﷺ– أمته على تعلم القرآن وتعليمه:

عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه –عن النبي – ﷺ – قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[68].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –قال: قال رسول الله –ﷺ –: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[69].

عن عائشة عن النبي –ﷺ – قال: «مثل الذي يقرأ القرآن – وهو حافظ له – مع السفرة الكرام البررة» [70].

وعن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه–قال: سمعتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم–يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين؛ البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[71].

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة التي حفلت بها دوواين السنة المطهرة في عناية رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم–بشأن القرآن الكريم، وتلك العناية شملت جميع الاتجاهات، وما ذلك إلا من حفظ الله لكتابه العزيز.

<u>المبحث الثالث: امتداح الله الحافظين لكتابه من أهل العلم</u>:

قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 48 – 49].

لـ «قد مدح الله أهل العلم وأثنى عليهم، فجعل كتابه آيات بينات في صدورهم، به تنشرح وتفرح وتسعد»[72]، كيف لا وقد وصف النبي – عليه الصلاة والسلام–أن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب[73].

وَ «سواء أريد به[أي: القرآن] أنه بيّن في صدورهم، أو أنه محفوظ في صدورهم، أو أريد به الأمران، وهو الصواب؛ فإنه محفوظ في صدور العلماء بيّن في صدورهم يعلمون أنه حق»[74].

«والقولان متلازمان، ليسا بمختلفين، وعلى التقديرين فهو مدحٌ لهم وثناءٌ عليهم في ضمنه الاستشهادُ بهم، فتأمَّله»[75].

ولقد حرص المسلمون عامة والعلماء خاصة على أن يكون حفظ كتاب الله من أولوياتهم، ويكفي أن نأخذ جولة في كتب التاريخ والتراجم وغيرهما لنقف أمام هذه

الحقيقة التي تميزت بها هذه الأمة عبر القرون؛ وفي سنوات العمر المختلفة، مذ عصر الصحابة –رضي الله عنهم–، وقد نصَّ كثير من أهل العلم على أن جمعًا غفيرًا منهم قد حفظ القرآن واستظهره[76]، ومرورًا بعصر التابعين وأتباعهم، إلى وقتنا الحاضر الذي نشهد فيه الإقبال الواسع من الجموع الغفيرة؛ من جميع الأعمار والأجناس = على حِفظ كتاب الله –تعالى–.

فالقرآن كما هو محفوظ في اللوح كذلك محفوظ في قلوب المؤمنين، وذلك من خصائصه، فعلاوة على كون آياته بينات الإعجاز فهو في الصدور يتلوه أكثر الأمة، بخلاف سائر الكتب؛ فإنها لم تكن معجزات، وما كانت تقرأ إلا من المصاحف [77].

ولذلك «قال الحسن: أُعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرءون كتابهم إلا نظرًا، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيون. فقال كعب في صفة هذه الأمة: إنهم حكماء علماء وهم في الفقه أنبياء» [78].

وعند قوله تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت51]: يقول الزمخشري (ت538هـ) «ثم قال: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ**﴾ آية مغنية عن سائر الآيات–إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين–هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحلّ، كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون في مكان دون مكان»[79].

ومما يمكن إضافته هنا اهتمام علماء الإسلام في علومه المختلفة، ويشمل ذلك: التعليم، والتطبيق، والتأليف، وهو داخل في معنى حفظ القرآن، قال الرازي(ت606هـ): «حفظ كتاب الله على وجهين: الأول: أن يحفظ فلا ينسى.

الثاني: أن يحفظ فلا يضيع. وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين: أحدهما: أن يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم، والثاني: أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه»[80].

<u>المبحث الرابع: الحث عل تدبر القرآن، والإنكار على من لم يفعل ذلك:</u>

قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82].

وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد:24].

وقال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾[المؤمنون: 68].

وقال تعالى: ﴿**أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[ص: 29]. كِتَابٌ

لقد امتثل سلف هذه الأمة أمر الله بتدبر كتابه، فهذا عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما–يمكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها[81].

كما تعددت عباراتهم في الترغيب والحثّ على التدبر، والإنكار على من يحفظ القرآن الكريم دون أن يفقهه ويتدبره.

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه–: «إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قرَّاؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيَّع حروفه، قليلٌ من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم.

وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيَّع حدوده، كثير من يسأل، قليلٌ من يعطي. يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم» [82].

ولقد ذَّم –رضي الله عنه– «من حفظ الحروف وضيع العمل، ولم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعاني القرآن، وإن لم يحفظ الحروف، فدل هذا على أن الحفظ والإحصاء المندوب إليه هو العمل»[83].

قال القرطبي (ت671هـ): «فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق

عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه»[84].ولقد عدَّ بعضهم حفظ حروف القرآن دون التفقه فيه من الابتداع في الدين[85].

إن من تمام حفظ الله عزَّ وجلَّ للقرآن الكريم، وأنه لا تكون الاستفادة الحقة منه = إلَّا بدوام الصلة به علمًا وعملًا، تلاوة وتدبرًا وفهمًا.

ولذلك دأب أهل العلم على مر العصور على التنبيه على أن التدبر حالة مصاحبة للقرآن الكريم لا تنفك عنه؛ بل جعلوا ذلك من أسباب نزول القرآن عملًا بنصِّ الآيات الكريمات التي تحثُّ على التدبر.

وقلنا إن التدبر من مظاهر حفظ الله للقرآن الكريم؛ لأنه حالة متجددة من الفهم، «إذ لو كان التدبر يعني الوقوف عند فهم القدماء للقرآن، لما أمرنا الله عز وعلا بتدبره، ولكان أمرنا باتباع أسلافنا وحسب؛ وهذا ينافيه طبيعة القرآن المتجددة»[86].

بل اعتبر بعضهم أن الاكتفاء بمعرفة ظاهر النصِّ كمن « له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها»[87].

المبحث الخامس: صون القرآن من الدَّخل والخلل والباطل والفساد:

قال تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: 1]، وقال تعالى: ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾ [يس:1-2].

لقد تعددت عبارات المفسِّرين في معنى إحكام وتفصيل الآيات في الآية الكريمة، وهو من اختلاف التنوع، والمعنى أن الله وصف القرآن بأنه مصون من الدَّخل، والخلل، والباطل، والفساد بكل أشكاله وأنواعه. [88]

وقال ابن عاشور(ت1393هـ): «والإحكام: إتقان الصنع، مشتق من (الحِكْمة) بكسر الحاء وسكون الكاف. وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الأخلال التي تعرض لنوعها، أي جُعلت آياته كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع ومن إخلال المعنى واللفظ»[89].

ولقد حاول بعضهم القدح في القرآن من خلال الأحرف السبعة االمنصوص عليها من النبي -ﷺ-، وما علم هؤلاء حقيقة هذا الاختلاف وفائدته! فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى قال -تعالى-: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:82]، والمتدبر لاختلاف القراءات كلها يجدها لا تخلو **من ثلاثة أحوال:**

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعًا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث: اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد [90].

ومن صون الله للقرآن الكريم أنه عصيٌّ على من أراد مجاراته قديمًا وحديثًا؛ بل من رام ذلك أصبح من أضحوكات التاريخ.

وأخبرَ اللهُ بعجزِ الانْسِ
والجنِّ عنْ إتْيانُهم بِالجنْسِ
مِنْ مِثْلِهِ وَطُولِبُوا بِسورهْ
فَما استَطَاعُوا مِثْلَهَا ضَرُورَه
وَمِن لِجلبابِ الحيَا أَزَاحَا
مُعَارضًا لَهُ حَوى افْتِضَاحا
كَمِثلِ مَا جَاء بِهِ مُسَيْلِمَه
مِنْ تُرهاتٍ بِاختلال مَعْلمه
رَكِيكَةٌ فِي لَفْظِها وَالْمَعنى
كَقَولِهِ: والطَّاحِناتِ طَحْنَا[91]

ومجمل القول فإن الله أخبر في الآيات السابقة وفي

نظائرها مما لم يُذكر «عن حفظه لكتابه وحراسته، والأمر بالرجوع إليه والعمل عليه، وتشريفه على سائر الكتب، وشدة تعظيمه له، وأنه محفوظٌ مصون من كيد الزائغين وتحريف المبطلين»[92].

المبحث السادس: نفي التبديل، والتغيير، والتحريف، والزيادة والنقصان، عن القرآن:

قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ *لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:41-42].

يبين الله جلَّ وعزَّ في هذه الآيات منعة القرآن الكريم وحصانته من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان؛ ذلك أن الله هو من تكفَّل بحفظه- كما مرَّ-، فلا مجال ولا سبيل للباطل إليه، على العكس من الكتب السَّماوية الأخرى التي وكل الله حفظها للبشر، كما قال تعالى:﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**﴾ [المائدة:44] ، فضيعوها، وحرفوها، ودخلها النقص والخلل؛ وذلك تبعًا لطبيعة البشر التي لا تنفك عن النقص والعجز.

قال الطبري (ت310هـ): « **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** » يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلًا، أو تحريفًا، أو تغييرًا، من إنسي وجني وشيطان مارد»[93].

ولقد تقرر عند عامة الأمة أن كتاب الله محفوظ من التبديل والتحريف والتغيير، وَ« من أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن، أو نقصانه منه، أو تحريفه فقد كذب الله في خبره، وأجاز الخلف فيه، وذلك كفر.

وأيضا فإن ذلك لو كان ممكنًا لم يكن أحد من المسلمين على ثقة من دينه، ويقين مما هو متمسك به لأنه كان لا يأمن، أن يكون فيما كتم من القرآن، أو ضاع بنسخ شيء مما هو ثابت من الأحكام، أو تبديله بغيره»[94].

إذن: حُفِظ القرآن عِلْماً في اللوح المحفوظ، وحُفِظ في أمانة مَنْ نزل به من السماء، وحُفِظ في مَنْ استقبله وهو النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فلا حجةَ لنا بعد أن جمع الحق سبحانه وتعالى للقرآن كُلَّ ألوان الحفظ.

المبحث السابع: دلالة معاني أسماء القرآن وأوصافه على حفظه:

إن تعدد الأسماء على المسمّى يدل على شرف ذلك المسمَّى ورفعة مكانته؛ ف «كثرة أَسماء الله تعالى دلَّت على كمال جلال عظمته، وكثرة أَسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- دَلَّت على علّو رتبته، وسموِّ درجته، وكذلك كثرة أَسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته، وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم...»[95].

ولقد اختلف علماء التفسير وعلوم القرآن في عدد أسماء القرآن؛ فمنهم من اقتصر على اسم واحد، ومنهم من أوصلها إلى المائة كما مر في النصّ السابق، لكن القول الراجح الذي تعضده الأدلة أنها خمسة أسماء: (القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر، والتنزيل)، وما عدا ذلك فيُعدُّ في خواص القرآن، وأوصافه، وفضائله[96].

وسيظهر للمتأمل في المسميات الثابتة للقرآن الكريم أنها «ليست مجرد أعلام جامدة لا معنى لها، بل هي أسماء مختارة اصطفاها الله تعالى لكتابه؛ لتدل على معانٍ وأوصافٍ شريفة تليق بمقام كتابه العزيز»[97].

«ولكلّ اسم من أسمائه ... في كلام العرب معنى ووجهٌ غير معنى الآخر ووجهه»[98].

فلو أخذنا مسمَّى (القرآن والكتاب) سنجد أنه «روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابًا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضوعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فالنص المنزل لم يقتصر على كونه «قرآنًا» أو مجموعة من

الآيات التي تتلى أو تقرأ، وتحفظ في الصدور، وإنما كان أيضًا «كتابًا» مدونًا بالمداد. فهاتان الصورتان تتضافران وتصحح كل منها الأخرى.[99].

«وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز؛ إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه ...

وسبب حفظ الله للقرآن دون بقية الكتب السَّماوية الأخرى، أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادًّا مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمرًا يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم [100].

وإذا ذهبت تتلمس دلالات اسم (التنزيل) على كتاب الله، وجدت أن منها: أنه كتاب منزل من عند الله، وأيضًا كون الله هو الذي أنزله، وهو الذي تكفل بحفظ تنزيله، وجعله مرفوعًا عن أيدي المحرفين، ومصونًا عن مساس المتلاعبين[101].

واسم (الفرقان) أشار إلى ما تضمنه الكتاب العزيز من الدلائل والآيات والمعاني والحقائق، التي تكون فارقة بين الصادق والكاذب، والمؤمن والكافر، والمحق والمبطل، والثابت والْمُحرَّف، والمحفوظ والْمُضيَّع، **﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾**[الإسراء:105- 106].أي: وما أنزلنا القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضي لإنزاله، وما نزل على الرسول إلا ملتبسًا بالحق الذي اشتمل عليه، وما أنزلناه من السماء إلا محفوظاً بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين؛ فرقنا فيه الحق من الباطل، ونزلناه على حسب الأحوال والمصالح، على مهل وتؤدة؛ فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم [102].

ومن دلالة اسم (الذكر) على القرآن: أنه سيبقى محفوظًا بحفظ الله تعالى، وأن أتباعه سيبقى لهم الشرف والمكانة محفوظين على وجه البسيطة[103]، وما ذُكر في قول الله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر:9] في المطالب السابقة يصُب في هذا المعنى، ويغني عن إعادته هنا.

<u>المبحث الثامن: دلالة القرآن العقلية على حفظ القرآن:</u>

قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**[النساء:82].

قال الراغب الأصفهاني(ت502هـ) «وقيل: معنى قوله: **﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**: أنّ للإنسان هاديين؛ الشرع والعقل؛ كالأصل للشرع، فبيّن تعالى أن الذي أتاكم به من الشرع لو كان من عند غير الله لكان مقتضى العقل يخالفه، فلمّا لم يوجد بينه وبين العقل منافاة عُلم أنه من عند الله»[104].

ولقد ثبت لنا نحن المسلمين أن القرآن محفوظ من التحريف بالنص القرآني الصريح المكرر المثبت بالحجج القرآنية العقلية الذاتية، أي: من داخل القرآن نفسه، بمعنى أن القرآن يشهد لنفسه بنفسه ويدل على نفسه بنفسه فلا يحتاج إلى شاهد أو دليل من خارجه، وفي هذا يقول تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**.

ويقول تعالى: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾** [البقرة:23].

فالله تعالى يحتج لصحة القرآن بحجة عقلية مصدرها القرآن نفسه!

فالقرآن هو الدليل وهو المدلول عليه، وهو الشاهد وهو المشهود عليه، وهو الحجة وهو المحتج له به! والدليل على حفظ القرآن نقلاً وعقلاً هو القرآن نفسه!

والدليل العقلي قد يكون أقوى من دليل التواتر، فإن التواتر إذا كان يورث الإيمان، فهذا يمنح الاطمئنان:

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:260].فلن تجد شيئاً يبعث اليقين ويورث الإيمان ويمنح الاطمئنان إلى صحة القرآن .. كالقرآن[105].

«والعجيب في مسألة حِفْظ القرآن أن الذي يحفظ شيئاً يحفظه ليكون حجة له، لا حجة عليه، كما تحفظ أنت (الكمبيالة) التي لك على خصمك، أما الحق – سبحانه وتعالى – فقد ضمن حِفْظ القرآن، والقرآن ينبئ بأشياء ستوجد فيما بعد، والحق سبحانه لا يحفظ هذا ويُسجِّله على نفسه، إلا إذا ضمن صِدْق وتحقُّق ما أخبر به وإلا لما حفظه، إذن: فحِفْظ الحق سبحانه للقرآن دليل على أنه لا يطرأ شيء في الكون أبداً يناقض كلام الله في القرآن:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82] »[106].

والطريق الصحيح لمن عرضت له شبهة، وظن اختلافًا في شيء من كتاب الله أن يتهم نظره أولًا، ويسأل من هو أعلم منه ثانيًا[107].

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف في الآيات التي دلت على حفظ الله للقرآن الكريم، سواء كانت الدلالة صريحة أو غير صريحة، أخلص إلى النتائج الآتية والتي أظهرتها الدراسة:

1- أن حفظ الله للقرآن الكريم خصيصة من خصائصه دون سائر الكتب السماوية.

2- أن عناية الله بكتابه الكريم كانت وما زالت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فالآيات أشارت إلى حفظ الله للقرآن الكريم في السماء، وفي الأرض، وما بينهما.

3- دلَّ القرآن الكريم على حفظ الله تعالى للقرآن الكريم دلالة واضحة، لا تخفى إلا على حاقدٍ، أو جاهل، أو متبع للهوى، وشمل حفظه من التلاشي، ومن الزيادة والنقصان فيه، وذلك بأن يسر تواتره، وسلَّمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها حتى بلغ ذلك حد التواتر في كل زمان.

4- حثَّ القرآن الكريم على إعمال العقل في الوصول إلى حقيقة حفظ الله للقرآن الكريم.

5- أن شبه الطاعنين في القرآن الكريم، مكررة على تطاول الأزمان، مع اختلاف في الأدوات والوسائل، ومن ذلك التشكيك في حفظ الله للقرآن، وأن القرآن الكريم نفسه تولى الرد على هؤلاء المشككين قبل أن يتولى علماء الإسلام التوسع في الردّ.

ومن أهم التوصيات التي أوصي بها في هذا الصدد:

- أهمية الرجوع لتدبر كتاب الله تعالى، لاسيما الآيات التي دلت على حقيقة حفظه، وبعث ذلك في الأمة مجددًا، لا سيما في هذا الوقت الذي تعددت وتجددت فيه شبه المشَّككين .
- تدبر الآيات التي تتضمن إشارات تدل على موضوعات كلية، كقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:3]، التي تدل على موضوع كبير وخطير= وإبرازه اليوم بأدلة عقلية واقعية في غاية الأهمية (كمال الدين واكتماله)، وكذا (تكامله) الذي هي طريق إلى اكتماله، وقس على ذلك.

وقس على ذلك النظر الموضوعي في الموضوعات الكلية التي تنص عليها الآيات = سيجد الباحث أمامه سيلًا هائلًا من الموضوعات القرآنية.

الهوامش:

(1) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن:634.

(2) يُنظر: علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، للدكتور مساعد الطيار: 370.

(3) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(3/ 177)، مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 36)، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (253/3)، مختار الصحاح، الرازي: 68، معجم متن اللغة، أحمد رضا (40/2).

(4) الكليات، الكفوي، فصل الحاء: 361.

(5) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (277/1–278)، الإتقان في علوم القرآن (181/1–182)، دراسات في علوم القرآن الكريم، محمد بكر إسماعيل: 10.

(6) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (1/ 278)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (1/ 182)، ومباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح: 18.

(7) معجم مصطلحات علوم القرآن، د. محمد الشائع :119، وعلَّق على التعريف بقوله: «وهو تعريف بالأوصاف والخصائص للتعريف؛ للتفريق بينه وبين كلام الله في كتبه السابقة، والحديث النبوي، والقدسي».

(8) يُنظر: العين، للخليل بن أحمد (198/3)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (87/2)، وتهذيب اللغة، للأزهري (265/4)، والمغرب في ترتيب المعرب، للمطرزّي: 122.

(9) السبعة في القراءات، لابن مجاهد:678.

(10) يُنظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، (1/ 499).

(11) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، (6/ 396).

(12) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (30/ 255).

(13) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، (1/ 497–498).

(14) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 388).

(15) صحيح مسلم (4/ 2197)، برقم (2865).

(16) ينظر: شرح السنة للبغوي، (14/ 408)، وشرح النووي على مسلم (17/ 198)

(17) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي: (7/ 163).

(18) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (10/ 89)، رقم الحديث (10046)، وقد ضعَّفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،(8/ 244)، رقم (3770).

(19) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (1/ 6).

(20) يُنظر: تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، د. منقذ السقار :10–11.

(21) تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين: 12.

(22) ينظر: القرآن الكريم والقراءة الحداثية (دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النّص عند محمد أركون)، الحسن العباقي: 54–80، و تقنيات الحداثيين (كشف أساليب، وتفنيد شبهات)، د. علي العمران، د.محمد السعيدي: 166–189.

(23) تنزيه القرآن الكريم عن دعوى المبطلين: 12.

(24) ينظر في الردّ على هذه الشبهات على سبيل المثال: القرآن الكريم والقراءة الحداثية (دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النّص عند محمد أركون): 54–80، القراءات الحديثة للقرآن الكريم ومنهج نقد الكتاب المقدّس، يوسف الكلّام، تنزيه القرآن الكريم عن دعوى المبطلين.

(25) ينظر: الرد القويم على المجرم الأثيم، لحمود التويجري: 145.

(26) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، (2/ 71).

(27) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (38/3–39).

(28) مجموع الفتاوى، (169/27)، وينظر: جامع المسائل، (162/4).

(29) ينظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، للمعلمي (1/ 234).

(30) شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، لملا علي القاري: 446–447.

(31) ينظر: تحريف القرآن عند الشيعة تهمة باطلة أم حقيقة ثابتة، طه حامد الدليمي: 1، مقالة نشرت على موقع المكتبة الشاملة: http://www.shamela.ws

(32) صيد الخاطر، ابن الجوزي: 196.

(33) أُخذ هذا التَّقسيم من كتاب: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، د. علي العبيد: 9–11، وموسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، لأحمد بن سليمان أيوب وآخرين، يُنظر: (8/5).

(34) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم، لابن القيم :529.

(35) التفسير الوسيط، للواحدي، (4/ 239).

(36) ينظر: سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود محمد غريب :163.

(37) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (3/ 596).

(38) تفسير ابن كثير، ت سلامة، (7/ 444).

(39) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (368/5–369).

(40) فتح القدير، للشوكاني، (3/ 151).

(41) ينظر: الحجة للقراء السبعة، (6/ 52).

(42) التحرير والتنوير (23/ 92).

(43) تفسير ابن كثير، ت سلامة، (165/6).

(44) تفسير الشعراوي= خواطر، (15/ 9409).

(45) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (14/ 18)

(46) ينظر: تفسير الرازي (19/ 123)، ولطائف الإشارات = تفسير القشيري (1/ 425)، والتحرير والتنوير، (14/ 21)، وعظمة القرآن الكريم، محمود الدوسري: 104–109.

(47) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (4/ 283)، وينظر: التحرير والتنوير، (6/ 209).

(48) قال الملا علي القاري(ت1014هـ) في شرحه (843/5): «ونقول وكذا مدة ألف وزيادة عشر إلى زماننا هذا». وأقول: كذا مدة

ألف وزيادة اثنتين وأربعين وأربعمائة إلى زماننا هذا.

(49) شرح كتاب الشفا في شمائل صاحب الاصطفا – ﷺ، الملا علي القاري، (2/ 842–844).

(50) ينظر: تعرَّف على الإسلام، منقذ السَّقار: 69.

(51) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (6/ 330)

(52) تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين: 23.

(53) ينظر: جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة:11.

(54) ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري (2/ 480)

(55) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (5/ 333)

(56) فتح الباري، لابن حجر، (8/ 682).

(57) التحرير والتنوير، (30/ 279).

(58) تفسير المراغي (30/ 123).

(59) ينظر: موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، (5/ 12–15).

(60) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي –ﷺ–، رقم الحديث (4998)، (6/ 186).

(61) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث (6)، (1/ 8)

(62) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي –ﷺ–، (6/ 186).

(63) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة (لم يكن)، رقم الحديث (4960، 4961)، (6/ 186).

(64) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: القرَّاء من أصحاب النبي –ﷺ–، رقم الحديث (5000)، (6/ 186).

(65) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المرسلات، رقم الحديث (4930)، (6/ 164).

(66) مسند أحمد، ط الرسالة، (10/ 487)، رقم الحديث (6461). وقد صحَّح محققوا الطبعة الحديثَ في حاشية رقم (3).

(67) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم الحديث60–(403)، (1/ 302).

(68) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه، رقم الحديث (5027)، (6/ 192).

(69) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث 38–(2699)، (2074/4).

(70) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة عبس، رقم الحديث (4937)، (6/ 166).

(71) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم الحديث 252–(804)، (553/1).

(72) منطلقات طالب العلم، لأبي العلاء محمد المصري: 65.

(73) الحديث أخرجه والترمذي في سننه، (5/ 177)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ولحاكم في المستدرك، (741/1)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(74) مجموع الفتاوى، (14/ 190).

(75) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (1/ 135–136).

(76) حَفِظَ كتاب الله تعالى من الصحابة جمع غفير، لا يحصون كثرة، وقد نص جماعة من العلماء على أبرز من حفظ كتاب الله منهم. يقول ابن حجر –رحمه الله–:

«وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي –ﷺ –فعد من المهاجرين: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدًا، وبن مسعود، وحذيفة، وسالمًا، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة. ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة. ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي –ﷺ–فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس. وعد بن أبي داود في كتاب (الشريعة) من المهاجرين –أيضا–: تميم بن أوس الداري، وعقبة بن عامر. ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذا؛ الذي يكنى أبا حليمة، ومجمع بن حارثة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وغيرهم.

وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي –ﷺ– وممن جمعه – أيضا–: أبو موسى الأشعري، ذكره أبو عمرو الداني، وعدَّ بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص، وسعد بن عباد وأم ورقة». فتح الباري شرح صحيح البخاري، (9/ 52)، ولمعرفة المزيد من أسماء الصحابة الذين حفظوا القرآن ينظر: معرفة القراء الكبار، للحافظ الذهبي: 10–25، والبداية والنهاية، لابن كثير (9/ 497)، وتهذيب التهذيب (5/ 316، 330، 338) (7/ 243، 441)، (12/ 456)، وتقريب التهذيب:745، 750، كليهما لابن حجر، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (1/ 248– 249).

(77) ينظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (458/3)، وتفسير القاسمي (560/7)، وتفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 681)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري (3/ 713).

(78) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (13/ 354)، ونسبه يحيى بن سلَّام إلى قتادة (635/2).

(79) تفسير الزمخشري (3/ 459).

(80) تفسير الرازي (12/ 366).

(81) شعب الإيمان، للبيهقي (3/ 345)

(82) موطأ مالك، ت الأعظمي، (2/ 242).

(83) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملَّقن، (33/ 232).

(84) تفسير القرطبي (1/ 2).

(85) ينظر: الحوادث والبدع، للطرطوشي: 96–101.

(86) تفسير الماتريدي (1/ 292).

(87) تفسير الزمخشري (4/ 90).

(88) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (12/ 310)، وتفسير الزمخشري (2/ 377)، وتفسير القرطبي (2/9)، وتفسير البيضاوي (2/ 6)، تفسير أبي السعود (2/ 8)، تفسير القاسمي (6/ 72).

(89) التحرير والتنوير (11/ 314).

(90) النشر في القراءات العشر، لابن الجزي (1/ 49–50) (بتصرف يسير).

(91) تاريخ القرآن الكريم، لمحمد طاهر الخطاط: 17.

(92) الانتصار للقرآن، للباقلاني (1/ 55).

(93) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (20/ 443)
(94) شعب الإيمان، للبيهقي، (1/ 331).
(95) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى، (88/1).
(96) للاستزادة في هذا الشأن ينظر: أسماء القرآن، وأوصافه في القرآن الكريم، عمر الدهيشي، وعظمة القرآن الكريم،:81-127.
(97) تقنيات الحداثيين: 164.
(98) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر، (1/ 89).
(99) مدخل إلى القرآن الكريم، 38، والنبأ العظيم، كليهما لمحمد عبدالله دراز:41-42. (بتصرّف يسير).
(100) النبأ العظيم:42-43. (بتصرف يسير).
(101) ينظر: تقنيات الحداثيين:161.
(102) ينظر: تفسير البيضاوي (3/ 269)، وتفسير القاسمي(6/ 520).
(103) ينظر: تقنيات الحداثيين: 164.
(104) تفسير الراغب الأصفهاني (3/ 1349).
(105) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (6/ 143) بتصرف يسير، ونسبت الموسوعة هذا القول إلى كتاب: تحريف القرآن عند الشيعة تهمة باطلة أم حقيقة ثابتة، لطه حامد الدليمي.
(106) تفسير الشعراوي (19/ 11699).
(107) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 83).

المراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.
2- أسماء القرآن، وأوصافه في القرآن الكريم، عمر الدهيشي، دار ابن الجوزي، ط1، 1430هـ.
3- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
4- الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، ت: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.
5- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط الأولى، 1376هـ / 1957م، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
6- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
7- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبى بكر الحرضي، دار صادر - بيروت.
8- تاريخ القرآن الكريم، محمد طاهر الخطاط، عناية: مصطفى محمد يغمور، مطبعة الفتح بجدة، ط1، 1365هـ -1946م.
9- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ابن تاويت الطنجي وآخرون، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط1، 1965م-1983م.
10- تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.
11- تفسير ابن جزي الكلبي = التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ت: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم - بيروت، ط1، 1416هـ.
12- تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير =تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ .
13- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت،ط1، 1422هـ.
14- تفسير ابن القيم= ، تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1410هـ.
15- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ / 1999م.
16- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
17- تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ.
18- تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط 1420هـ - 1999م.
19- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
20- تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ت: محمد زهري النجار، عالم الكتب- بيروت، ط3، 1414هـ -1993م.
21- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997م.
22- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1422هـ - 2001م.
23- تفسير الفخر الرازي= مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ.
24- تفسير القاسمي= محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ.
25- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
26- تفسير القشيري = لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3.

27- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1426هـ – 2005م.
28- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
29- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ – 1946م.
30- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ –1998م.
31- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1، 1406هـ – 1986م.
32- تقنيات الحداثيين (كشف أساليب، وتفنيد شبهات)، تحرير وإشراف: د. علي العمران، د. محمد السعيدي، دار سلف للنشر والتوزيع، ط1، 1441هـ–2020م.
33- تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، د. منقذ السقار، تكوين للدراسات والأبحاث، ط2، 1439هـ– 2018م.
34- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، لعبد الرحمن المعلمي، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني – زهير الشاويش – عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط2، 1406هـ – 1986م.
35- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.
36- تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ط الأولى، تحقيق: محمد عوض.
37- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط1، 1429هـ – 2008م.
38- جامع المسائل – المجموعة الرابعة، ابن تيمية، ت: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، ط1، 1432هـ.
39- جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، أ. د. علي بن سليمان العبيد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
40- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ / 1999م.
41- لحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسيّ، ت: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، ط2، 1413هـ – 1993م.
42- خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، مكتبة العبيكان، 1417هـ–1997.
43- دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط2، 1419هـ–1999م.
44- الرد القويم على المجرم الأثيم، حمود التويجري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – المملكة العربية السعودية،ط1، 1403هـ.
45- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني ،دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ / 1992م.
46- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ – 1975م.
47- شرح السنة، أبو محمد الحسين البغوي الشافعي، ت: شعيب الأرنؤوط– محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي– دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ – 1983م.
48- شرح كتاب الشفا في شمائل صاحب الاصطفا –ﷺ–، الملا علي القاري، ت: حسنين محمد مخلوف، دار التفسير– جدة، ط1، 2014م.
49- شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، لعلي الملا القاري، ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم – لبنان – بيروت.
50- شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.
51- شعب الإيمان، البيهقي، ت: د. الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ – 2003م.
52- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى، 1422هـ.
53- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
54- صيد الخاطر، لابن الجوزي ، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، ط1، 1425هـ – 2004م.
55- عظمة القرآن الكريم، محمود الدوسري– دار ابن الجوزي – ط1 1426هـ.
56- علوم القرآن عند الإمام الشاطبي (شرح وتحليل لقسم «الكتاب» من الموافقات، للدكتور مساعد الطيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1434هـ–2013م.
57- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – السمين الحلبي – تحقيق الدكتور محمد التونجي – عالم الكتب ط1– 1414هـ – 1993م.
58- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.
59- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم

الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
60- القراءات الحديثة للقرآن الكريم ومنهج نقد الكتاب المقدَّس، يوسف الكلّام، مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان، ط1، 1434هـ.
61- القرآن الكريم والقراءة الحداثية (دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النّص عند محمد أركون)، الحسن العباقي، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ط1، 2009م.
62- كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط2، 1400هـ.
63- كتاب العين، الخليل الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال ،المحقق: د .مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.
64- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
65- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير 2000م.
66- مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ- 1995م.
67- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن ابن سيده ، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م.
68- مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ – 1999م.
69- مدخل إلى القرآن الكريم، عرض تاريخي وتحليل مقارن، محمد عبدالله دراز، مكتبة الفنون والآداب – القاهرة – مصر، 2014م.
70- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ- 1990م.
71- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون
إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ – 2001م.
72- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ت: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ – 1997م.
73- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت ط1، 1408هـ – 1988م.
74- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة – بيروت، [1377 – 1380هـ].
75- معجم مصطلحات علوم القرآن، محمد الشائع، دار التدمرية، الرياض، ط1، 1433هـ- 2012م.
76- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، 1399هـ / 1979م ، تحقيق: عبد السلام هارون.
77- المُعْجَمُ الكَبِير، للطبراني، ت: فريق من الباحثين بإشراف د. سعد بن عبد الله الحميد ود. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، 1427هـ – 2006م.
78- المغرب في تصحيح المعرب، أبو الفتح المُطَرِّزِيّ ، دار الكتاب العربي.
79- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.
80- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد القرطبي، ت: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، ط1، 1417هـ – 1996م.
81- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
82- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع (دار وقفية دعوية)، ط1، 1436هـ – 2015م.
83- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك، ت: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط 1، 1425هـ / 2004م.
84- منطلقات طالب العلم، أبو العلاء محمد بن حسين المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط2، 1422هـ – 2002م.
85- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، عناية: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ- 2005م.
86- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
87- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن الواحدي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415 هـ – 1994م.
88- موقع المكتبة الشاملة: http://www.shamela.ws
89- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

Preservation of the Holy Qur'an as stated in the Holy Qur'an: an objective study

Yahya bin Abd Rabbo bin Hassan al-Zahrani

Abstract

This study tackles preservation of the Qur'an as stated in the Holy Quran itself through showing the manifestations, means and stages of that preservation, due to the similarity between the old and new skeptics in the Holy Qur'an. The researcher collected the verses that mention this preservation and through induction, consideration and contemplation, he extracted those manifestations, means and stages of preservation confirming the fact that Allah, has preserved this holy book from any distortion. The researcher also showed that this feature is not available in all the other holy books.

Keywords: preservation, similarity, distortion